



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

التركيب النحوية في الجملة الاسمية ودلالاتها في سورة النور

عماد سعد أبو حسن^{1*}، جميل حسين عياش²

^{1,2} أقسم اللغة العربية والإعلام، كلية الآداب والتربية، الجامعة العربية الأمريكية، فلسطين.

*الباحث المراسل: emad.abuhasan@aaup.edu

Received: 02/05/2026

Revised: 13/05/2026

Accepted: 17/08/2026

Published: 30/09/2026

DOI: <https://doi.org/10.35517/AAUP-2026.V12.3.3>

الملخص

تتناول هذه الدراسة التركيبي النحوية للجملة الاسمية في سورة النور، وتهدف إلى الكشف عن دلالاتها اللغوية والبلاغية، وبيان أثرها في بناء المعنى القرآني. وتتبع مشكلة الدراسة من الحاجة إلى استجلاء العلاقة بين البنية النحوية والدلالة في الجملة الاسمية، والكشف عن الخصائص التركيبية التي تميزها في سورة النور، وما تؤديه من وظائف دلالية وجمالية في سياق النص القرآني. واعتمدت الدراسة المنهج شبه الاستقرائي التحليلي؛ لملاءمته طبيعة البحث، فهو يقوم على استقراء تراكيبي الجملة الاسمية في السورة، ثم تحليلها للكشف عن خصائصها التركيبية ودلالاتها ووظائفها في السياق القرآني، بما يتيح الوقوف على القيمة اللغوية والجمالية لهذه التراكيبي.

وتهدف الدراسة إلى رصد الأنماط التركيبية للجملة الاسمية في سورة النور، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها، وتحليل الأساليب والظواهر اللغوية الموظفة فيها، واستجلاء ما تحمله من معانٍ ودلالات تسهم في فهم النص القرآني فهماً أدق. وتتمثل أهمية الدراسة في إبراز الصلة الوثيقة بين النحو والدلالة، وإظهار أثر التراكيبي النحوية في توجيه المعنى، بما يعزز الفهم الموضوعي للنص القرآني، ويبرز التكامل بين البنية التركيبية والسياق في إنتاج الدلالة، ويؤكد أن فهم الجملة القرآنية لا يتحقق بمعزل عن سياقها العام، وإنما في ضوء العلاقات التي تربط عناصرها داخل النظم القرآني.

الكلمات المفتاحية: التراكيبي النحوية، سورة النور، الجملة الاسمية، السياق القرآني، الدلالة.

1. المقدمة

يعدّ النحو العربي مفتاحاً لفهم النص القرآني؛ فيقوم على فكّ أسرار الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، وإيضاح العلاقات بين الكلمات والعبارات، بما يكشف عن دلالات عميقة لا تظهر بالقراءة السطحية. والجملة الاسمية من التراكيبي النحوية، ويُقصد بالتراكيبي النحوية في هذه الدراسة: تأليف الكلمات وربط بعضها ببعض بعلاقات نحوية، وفق قواعد اللغة العربية؛ لتكوين بنية تؤدي معنى معيناً، ويندرج تحتها عدد من الأنماط، كالجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والتركيبي الإضافي، والوصفي. وتتميّز الجملة الاسمية بما قد تؤديه في بعض السياقات من دلالات الثبوت والاستقرار، وما تكشف عنه من وظائف بلاغية، منها التوكيد، والتقريب، والقصر.

وتُدرس هذه التراكيبي في ضوء السياق القرآني، ويُقصد به في هذه الدراسة مجموع العناصر اللفظية والمعنوية المحيطة بالتركيبي، وما يسبقه وما يلحقه من آيات وعبارات، فضلاً عن السياق العام للسورة وموضوعها؛ لما للسياق من أثر في تحديد المعنى المراد، والكشف عن العلاقات الدلالية بين أجزاء النص. أما الدلالة، فيُقصد بها المعنى الذي يؤديه التركيبي النحوي في سياقه، وما ينشأ عن بنائه وترتيب عناصره من معانٍ ظاهرة أو إحياءات بلاغية، فلا يُنظر إلى التركيبي بمعزل عن السياق الذي ورد فيه، وإنما يُكشف عن دلالاته من خلال تفاعل البنية النحوية مع السياق القرآني (الجرجاني، 1992، ص44-49).

* الباحث المراسل

وتستأثر سورة النور بأهمية خاصة؛ فهي سورة مدنية تناولت الأحكام التشريعية، وعالجت قضايا اجتماعية وأخلاقية، وأسست لمبادئ العفة والطهارة والعدالة، وقد اتسم خطابها القرآني بغناء بلاغي وتنوع أسلوبه، أسهم في ترسيخ مقاصدها في نفوس المتلقين، وكان للتركيب الاسمية حضوراً بارزاً فيها، فقد تكررت بصور شتى لخدمة المعنى وإحكام دلالاته (الصابوني، 1981، 2، ص324-325). ومن هنا تتحدد إشكالية البحث في السؤال الآتي: كيف وظفت سورة النور التركيبيات النحوية في الجملة الاسمية لخدمة دلالاتها التشريعية والبلاغية؟

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن صور الجملة الاسمية في سورة النور، وتحليل هذه التركيبيات النحوية، وتفسير دلالاتها السياقية، وبيان أثرها في إبراز المعاني التشريعية والدلالية في سورة النور، وأثرها في ذهن المتلقي. وتأتي أهمية الدراسة في أنها تربط بين الجانب التركيبي والدلالي في النص القرآني، وتبرز الخصائص الأسلوبية لسورة النور، وتسهم في إغناء الدراسات التطبيقية في القرآن. واختارت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، القائم على استقراء تراكيبيات الجملة الاسمية في سورة النور، وترتيبها وفق هيكل الدراسة، ثم تحليلها لبيان دلالاتها المعنوية، وأثرها في إبراز المعنى وجماليته؛ فاقتضت الدراسة تحديد مفهوم الجملة الاسمية في كتب النحو والبلاغة، وبيان خصائصها التركيبية والدلالية، فكانت غاية البحث التي انصبّت على الكشف عن العلاقات الخفية بين الجملة الاسمية وفضاءات سورة النور، دافعاً إلى استقصاء تلك التركيبيات اللغوية، ووصف العلاقات بين التركيب النحوي والدلالة، لتجلية مظاهر الإعجاز البياني في هذه السورة.

2. مفهوم الجملة الاسمية في كتب النحو والبلاغة

تعدّ الجملة الاسمية من أهم التركيبيات اللغوية في العربية، فقد شكّلت محوراً رئيساً في مباحث النحو والبلاغة على السواء، لما تنطوي عليه من دلالات تركيبية ودلالية تميّزها عن الجملة الفعلية. وقد أولى النحويون الأوائل، وعلى رأسهم سيبويه (ت 180هـ)، اهتماماً خاصاً بتحديد خصائصها التركيبية، فيما ركّز البلاغيون على ما تمنحه من ظلال معنوية تتصل بالدوام والثبوت. والجملة الاسمية هي الجملة التي تبدأ باسم، وتتكوّن من ركنين أساسيين، هما: المبتدأ والخبر، من غير أن يكون للفعل فيه حضوراً أصيلاً. قال سيبويه في الكتاب مشيراً إلى الجملة الاسمية بفكرة الإسناد: "هذا باب المسند والمُسند إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدأً. فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه، وهو في قولك عبد الله أخوك" (سيبويه، 1988، 1، ص23)، فمعيّار الاستقلال عند سيبويه هو اكتمال المعنى بوجود ركنين اسميين. ثم جاء الرّجّاج (ت 311هـ) فعمّق النظر في هذا الباب، إذ رأى أنّ الجملة الاسمية تدلّ على الثبوت خلافاً للجملة الفعلية التي تدلّ على التجدد والحدوث (الرّجّاج، 1988، 1، ص44).

أمّا ابن جني (ت 392هـ) فقد أشار إلى أنّ "الاسمية" ليست مجرد بناء نحوي، بل لها أثر في المعنى، إذ ترتبط بدلالة الإسناد نفسه (ابن جني، د. ت، 3، ص101).

وخلاصة القول، من خلال استقراء كلام النحاة حول الجملة الاسمية، بأنها تقوم على ركنين أساسيين: المبتدأ والخبر، وقد يرد المبتدأ ومعه ما يسدّ مسدّ الخبر فيكتمل به المعنى، وبذلك تُعدّ الجملة الاسمية إطاراً تركيبياً واسعاً يضم أنماطاً متنوّعة من الصياغة والمكونات. فهي في حقيقتها قائمة على المسند إليه (المبتدأ، وهو المحكوم عليه)، والمسند (الخبر)، وهو الذي تتحقّق فيه الفائدة، ويُسنَد إلى المبتدأ.

أمّا البلاغيون فتناولوا الجملة الاسمية من زاوية وظيفتها الأسلوبية، فجعلوها قرينة على إفادة الثبوت والاستقرار. يقول السكاكي (ت 626هـ) في مفتاح العلوم: "الاسم يدلّ على الثبوت، والفعل على التجدد، فكانت الجملة الاسمية أدلّ على الدوام من الفعلية" (السكاكي، 1987، 1، ص135).

ويلاحظ أنّ البلاغيين ركّزوا على الفرق بين التعبير بالفعل والاسم من حيث الدلالة الزمنية والنفسية، فالتعبير بالاسمية يشعر بأنّ الحكم مستمر أو لازم، بخلاف الفعلية التي قد توحى بالحدوث المتجدد. ويظهر ذلك جلياً في تطبيقاتهم على النص القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35]، حيث أشار الرازي (ت 606هـ) إلى أنّ العدول عن الفعلية إلى الاسمية دلّ على أنّ وجود السماوات والأرض قائم بالله تعالى على سبيل الدوام والثبوت (الرازي، 1981، 23، ص224). وخلاصة القول: إذا كان النحويون قد اکتفوا بتحديد المكونات الأساسية للجملة الاسمية، فإنّ البلاغيين تجاوزوا ذلك إلى الكشف عن أسرارها الدلالية. فالنحوي ينظر إلى الجملة الاسمية بوصفها تركيباً يتكوّن من مبتدأ وخبر، أو ما يقوم مقامهما، في حين ينظر البلاغي إليها بوصفها أداة تعبيرية ذات أثر خاص في إيصال المعنى. ويجتمع الفريقان عند الإقرار بخصوصيتها في مقابل الجملة الفعلية.

3. الخصائص التركيبية والدلالية للجملة الاسمية

تُعَدُّ الجملة الاسمية من أهم التراكيب النحوية التي شكَّلت محوراً لاهتمام النحاة والبلاغيين؛ لما تنفرد به من خصائص تركيبية ودلالية. فمن الناحية التركيبية، تقوم على ركنين أساسيين، هما المبتدأ والخبر، وقد نصَّ سيبويه على أنها "كلام مستقل يقوم على مبتدأ يُسند إليه خبر" (سيبويه، 1988، 1، ص 23). وتمتاز الجملة الاسمية عن غيرها بثبات أركانها وقلة تعقيدها، مع جواز دخول أدوات التوكيد أو النفي أو الاستفهام، عليها، ما يوسع دائرة دلالتها (الزمخشري، 2004، ص 48). ومن الناحية الدلالية، فإنها - كما أوضح ابن جني - ليست مجرد بناء نحوي، بل هي وعاء لمعنى الحكم نفسه، يرتبط الإسناد فيها بدلالة الثبوت والاستقرار، خلافاً للجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد (ابن جني، د. ت، 3، ص 101). وقد عمَّق عبد القاهر الجرجاني هذا التصور عندما بيَّن أن البلاغة تنشأ من نسبة المسند إلى المسند إليه، لا من الألفاظ المفردة، فجعل الجملة الاسمية أداة لإفادة المعنى في صورته الكاملة (الجرجاني، 1992، ص 52-53). فظهر جلياً من كل ما سبق أن الخصائص التركيبية للجملة الاسمية متداخلة مع خصائصها الدلالية، فيؤدِّي ثبات البنية إلى تعزيز معنى الدوام والرسوخ، ما يجعلها أداة رئيسة في التعبير عن القضايا الكلية والحقائق العامة.

4. التراكيب النحوية للجملة الاسمية في سورة النور ودلالاتها

تعدُّ سورة النور من السور القرآنية الغنية بالتراكيب النحوية المتنوعة، وبخاصة الجملة الاسمية التي جاءت في سياقات متعددة، تخدم المعنى العقدي والتشريعي والبلاغي، وتسهم في ترسيخ مقاصده في نفوس المتلقين؛ والجملة الاسمية -أيضاً- تحمل دلالات الثبوت والاستقرار، بخلاف الجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد (السامرائي، 2000، 1، ص 15-16. بتصرف). والجملة الاسمية تقوم في أصلها على المبتدأ والخبر؛ فالمبتدأ: "كل اسم ابتدئ ليُبنى عليه الكلام. والمبتدأ المبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه. فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه (سيبويه، 1988، 2، ص 126)، وعند ابن هشام: "هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان" (ابن هشام، 1964، 2، ص 420). ويقصد هنا بتصدر الاسم للجملة أن يكون ركناً إسنادياً فيها إذ يقول: "مرادنا بصدر الجملة المسند أو المسند إليه؛ فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف؛ فالجملة من نحو "أقامم الزيدان، وأزِيد أخوك، ولعل أباك منطلق، وما زيد قائماً" اسمية (ابن هشام، 1964، 2، ص 421).

نلاحظ من حديث النحاة أن قضية الإسناد هي الأساس في تشكيل القاعدة النحوية، فالمسند إليه والمسند يمثلان ركني الجملة الاسمية وتوافرهما شرط كافٍ لقيام الجملة والتي يبنى النحاة عليها تحليلهم، والدليل على ذلك أنهم ينظرون إلى هذين الركنين على أنهما عماد الجملة، وما عداهما فضلة، يُستقلُّ الكلام دونه، فالمبتدأ الركن الأول للجملة الاسمية، "والخبر هو الركن الثاني فيها، وهو اسم مرفوع يُخبر عن المبتدأ، ويتم معنى الجملة، ورافعة المبتدأ" (مطرجي، 2008، ص 156). وقد يأتي الخبر على ثلاثة أنواع: مفرد، وجملة، وشبه جملة.

وفي هذا المبحث تناول الباحثان الصور الرئيسية للجملة الاسمية كما وردت في سورة النور، مع بيان تراكيبها النحوية، ودلالاتها السياقية التي تتناسب ومقاصد السياق القرآني:

4.1 المبتدأ، والخبر المفرد:

المبتدأ، هو الاسم الصريح أو المؤول به، المجرد من العوامل اللفظية غير الزائدة وشبهها مخبراً عنه أو وصفاً رافعاً لمستغنى به (أبو المكارم، 2007، ص 24). أما الخبر المفرد، فيعرَّف بأنه ما ليس جملة، أو شبه جملة، ويكون على هيئة اسم ظاهر، ويتطابق مع المبتدأ في الأفراد والتنبيه والجمع، وفي التذكير (ابن يعيش النحوي، 2001، 1، ص 87). ومن خلال قراءتنا لسورة النور، وجدنا أن الآيات التي وقع فيها الخبر اسماً مفرداً كثيرة -نوعاً ما- ومن ذلك:

- قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 4]:

في هذا الاستعمال القرآني جاء المبتدأ اسماً ظاهراً (اسم إشارة)، وذلك في قوله (أُولَئِكَ)، الذي يستخدم للإشارة إلى البعيد إيذاناً ببعد منزلتهم في الشر والفساد، أي أولئك المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود، الكاملون فيه كآتهم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة (أبو السعود، د. ت، 6، ص 158)، فالفاسق انتهك ما حرَّم الله، وانتَهك عرض أخيه، وأقدم على رمي الآخرين في أعراضهم، وقذف محصناتهم، وهذا من كبائر الذنوب.

وقد أسند المبتدأ إلى خبر مفرد معرفة وهو (الْفَاسِقُونَ)؛ للدلالة على أولئك الذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين، فيرمونهم بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول، فأولئك هم الذين خالفوا أمر الله، وخرجوا من طاعته، ففسقوا عنها (الطبري، 1994، 5، ص 395)؛ فحق وصفهم بالفاسقين. كما أن ضمير الفصل (هُم) وقع هنا بين المبتدأ والخبر، ففائدته الدلالة على الوارد بعده خبر، وللتوكيد والاختصاص والقصر، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره، وقد أفاد ضمير الفصل (هو) توكيد التوبيخ واختصاره على الفاسقين، "والمبالغة في شناعة فسقهم حتى كأن ما عداه من الفسوق لا يعدّ

فسقاً" (ابن عاشور، 2000، 18، ص159). قد يجادل بعض الناس في أن بعض الكافرين استطاعوا تحقيق الجاه والمال والقوة في الأرض، إلا أن الله تعالى ساق الحديث بأداة التوكيد "إِنَّ"؛ لإثبات أن سلطانهم لن يدوم، فهو زائل. فالجملة الاسمية في هذه الآية تدل على تثبيت صفة الفسق فيهم على وجه الدوام، مع حصر الوصف فيهم للتوبيخ والذم، والإشارة إلى بعدهم عن رحمة الله وهدايته.

- قوله تعالى: {فَشَهِدُوا أَحَدَهُمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور:6]:

تتحدث الآية عن حكم شرعي (اللعان)، وهو خاص بحالة اتهام الزوج لزوجته بالزنا، مع عدم وجود شهود، فعليه أن يقسم أربع مرات بالله على صدقه في اتهامه، وتأتي زوجته فتدفع عنها التهمة بأربع شهادات على أنه كاذب، ففي النص القرآني الكريم، جاء المبتدأ (شهادة) مفرداً ومعرفاً بالإضافة وهو (أَحَدَهُمْ)، والخير معرفاً بالإضافة وهو (أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ) وهذه الجملة اسمية تدل على التوكيد والثبات، وتبين بدقة مقدار الشهادة المطلوبة شرعاً من الزوج في مقام اللعان، فتكرار لفظ (شهادة) أربع مرات يحمل دلالة تأكيدية عظيمة، تحمل المتكلم مسؤولية جسيمة أمام الله تعالى، وتضفي على القول طابع الجدية والخطورة، فلم تكنف الآية بشهادة واحدة، بل كررها أربعاً توكيداً (الزمخشري، 1998، 3، ص267)، ما يعكس دقة التعبير القرآني، وتكامله بين المعنى واللفظ؛ ففق قوله - سبحانه - {إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} جاء التوكيد باللام إلى جانب "إِنَّ" وفي ذلك حكمة الله، وإيقاظ لضمير الزوج ليشهد بالصدق، فإذا به يشهد أربع شهادات أنه صادق، ونلاحظ أن الآية عبّرت بصدق للدلالة على أهمية الصدق في العلاقة الزوجية. قال ابن عاشور: "إنها تقوية الأيمان الأربع باستنكار ما يترتب على أيمانه؛ إن كانت غموساً، من الحرمان من رحمة الله" (ابن عاشور، 2000، 18، ص165).

- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} [النور:11]:

جاء المبتدأ في هذا السياق القرآني معرفة، وهو الضمير المنفصل (هُوَ)، في حين جاء الخبر نكرة (خَيْرٌ)، ويسهم هذا التركيب في إفادة الاختصاص والقصر الحقيقي، فورد المسند إليه ضميراً منفصلاً (هُوَ) دالاً على الغائب، وجاء المسند اسم نكرة (خَيْرٌ)، وذلك لأن الإخبار بالنكرة كشف ما كان مجهولاً عن السامع، والنفس تتشوق إلى التفصيل بعد الإجمال" (السامرائي، 2000، 2، ص276). لقد أفاد الضمير المنفصل - هنا - التخصيص والاهتمام، فكأن الخطاب يشير مباشرة إلى الحدث الذي ملأ السامعين قلقاً؛ ليؤكد أن الذي ألقاهم إنما هو خير محقق لهم. أما الإخبار بالنكرة ففيه إيها م مقصود للتشويق، وكشف لما كان مجهولاً، فجاء الخبر بوحى من السماء؛ لتبرئة أم المؤمنين بوحى من السماء، وفضح المنافقين، وإظهار عناية الله بالمؤمنين. وجاء التركيب في صدر الآية مؤكداً بـ "إِنَّ"؛ للتأكيد على أن ما قيل في السيدة عائشة - رضي الله عنها - ما هو إلا إفك وكذب، والتوكيد بكونهم عصابة هو من باب التحقير لشأنهم؛ كونهم فعلوا شيئاً شنيعاً، فقلبوا الخير قلباً دون أن يتحرّوا الصدق في أقوالهم. فقد جاء التوكيد بالجملة الاسمية (هُوَ خَيْرٌ)، وفي ذلك إظهار لبراءة أم المؤمنين وشرورها، وتشديد الوعيد فيمن تكلم بما أحزن أم المؤمنين - رضي الله عنها - لذا جاء بالجملة الاسمية إلى جانب (أَنَّ) لنفي الفرية وإثبات العفة والشرف.

- قوله تعالى: {وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} [النور:12]:

جاء التركيب القرآني في هذه الآية متصداً باسم الإشارة "هذا" إشارة للقریب، وهو المبتدأ، وخبره "إفك" نكرة، والبدء باسم الإشارة فيه توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قول ينادي حاله ببهتان، وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره (ابن عاشور، 2000، 9، ص175)، وفيه - أيضاً - توجيه ذهن السامع مباشرة إلى المقصود، فيحدده ويجعله ملموساً في الذهن وكأنه حاضر أمامه منطور بالعين، ما يعمق أثر الحكم الذي سيُسند إليه، قال الرازي: "وإيراد اسم الإشارة يشعر بأنهم جعلوا ذلك الكلام حاضراً بين أيديهم، وأكدوا الحكم عليه بأنه إفك ظاهر البطلان" (الرازي، 1981، 23، ص178).

والجملة الاسمية - هنا - تفيد الثبوت والاستقرار في الحكم؛ فكانهم يقررون على سبيل القطع واليقين أن ما نُسب إلى أم المؤمنين "إفكٌ مبين"، وليس مجرد دعوى عابرة. فالنص القرآني في هذا التركيب - الجملة الاسمية المتصدرة باسم الإشارة "هذا" تأكيد على براءة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أما الخبر "إفكٌ" المنعوت بـ "مبين" فقد أفاد التوكيد بالصفة "مبين" التظطيع والتهويل، "فالإفك أسوأ الكذب" (البكري، د.ت، ص29). وبما أن الله - سبحانه وتعالى - أنكر حادثة الإفك، فوجب على كل مسلم أن ينكره، ويخرج الشك من قلبه؛ فهي إفك مبين. وهنا تظهر دلالة الجملة الاسمية في أنها تحاكي طبيعة الاتهام، وتكشف شناعته.

- قوله تعالى: {قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا لِمَا قِيلَ مِنَّا شَيْءٌ} [النور:13]:

تتكوّن بنية هذه الآية من مبتدأ معرفة جاء في صيغة اسم الإشارة (أُولَئِكَ) والكاف للخطاب، ومن خبر معرف بـ (ال) تمثل في لفظ (الكَافِرُونَ) وهو خبر مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم، واسم الإشارة (أُولَئِكَ) الذي يستخدم للإشارة إلى البعيد، والبعد إما أن يكون حسبياً، وإما أن يكون معنوياً، والمعنوي قد يكون في الخير، وقد يكون في الشر، والمراد به - هنا - البعد في الشر دلالة على حقارتهم وقلّتهم، واسم الإشارة مبهم يمكن أن يُطلق على أي شيء، وقد ورد في الكتاب بالاسم المبهم "أما الأسماء المبهمة فنحو: هذا، وهذه، هذان، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، وتلك، وذا، وتلك، وأولئك وما أشبه ذلك إنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته" (سبويه، 1998، 2، ص5).

لقد أفاد أسلوب الحصر في الآية المبالغة في وصفهم بالكذب، للدلالة على شدته وفضاعته، حتى كأن الكذب قد انحصر فيهم، فصاروا أحق من اتصف به. وجاء المبتدأ اسم إشارة (أُولَئِكَ)؛ لزيادة تمييزهم بهذه الصفة، وليحذر الناس من أمثالهم (ابن عاشور، 2000، 1، ص176)، وجاء الخبر معرفاً بـ (ال)، فإنه لم يقل: (فأولئك كاذبون) أو (من الكاذبين)، بل قال: {قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا لِمَا قِيلَ مِنَّا شَيْءٌ}.

الْكَاذِبُونَ} دلالة على استغراق جنس الكذب وثبوته فيهم، فلا يعدّ غيرهم من الكاذبين. فاختيار لفظ (الكاذبون) دون غيره؛ لأنّ الكذب أقبح صفة يتّصف بها الإنسان، فكما أنّ فعلهم هذا قبيح اختير لهم الوصف القبيح، كما أنّ مجيء الخبر اسم فاعل مشتق يفيد ثبوت صفة الكذب وتمكّنها منهم، بما يوحي باستقرار هذه الصفة ولزومها لهم. ومن ثمّ جاءت الجملة الاسمية بما تحملها من دلالة على الثبوت مناسبة لمقام التوبيخ والزجر، لما تضمّنته من تفرّيع شديد للذين سمعوا الإفك ولم يبادروا إلى دفعه وإنكاره، فكان في هذا الأسلوب زجرٌ بليغٌ وتحذيرٌ من الوقوع في مثل هذا السلوك.

- قوله تعالى: {سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور:16]:

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن حادثة الإفك، حينما خاض بعض الناس في عرض أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فجاء الردّ من القرآن الكريم بالتنزيه والتبرئة القاطعة (سُبْحَانَكَ) أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام عن زوجة رسول الله الطاهرة البريئة، فإن هذا الافتراء كذب واضح، عظيم الجرم (الصابوني، 1981، 18، ص329). فالآية تقطع الطريق أمام أية شبهة، وتقرّر أن ما قيل إنما هو محض افتراء.

وجاء التركيب القرآني في هذه الآية الكريمة متصدراً بالمبتدأ اسم الإشارة للقريب (هَذَا)، و(هَذَا) يشير به للدلالة على أن المشار إليه قريب، فهذا الذي تشيرون إليه، أو تسمعون عنه ما هو إلا (بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)، وبخبر موصوف نكرة (بُهْتَانٌ). فالبنية النحوية (المبتدأ، الخبر، الصفة) جاءت موجزة، محكمة، تحمل دلالات قوية: تقييد الثبوت؛ فالحكم حقيقة ثابتة أنه بهتان عظيم، والتهويل في الأمر؛ فمجيء الخبر نكرة ثم توكيده بالصفة (عَظِيمٌ) إظهار براءة أم المؤمنين -رضي الله عنها- وهذا مسوق للتوبيخ على تناقلهم الخبر الكاذب (ابن عاشور، 2000، 18، ص180).

- قوله تعالى: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ} [النور:27]:

ورد المبتدأ اسم إشارة للبعيد (ذَلِكُمْ)، وهو مكوّن من "ذا" الدالة على الإشارة، و "لام البعد"، و "كاف الخطاب"، وميم الجمع، والخبر نكرة (خَيْرٌ). والخطاب بالكاف جاء مطابقاً يعمّ الجميع على قدر واحد (السامرائي، 2000، 1، ص101)، فهو موجّه إلى المؤمنين؛ رجالاً ونساء، ممن يدخلون البيوت.

فالجملة الاسمية جاءت لتقرير الحكم على وجه الاستقرار والثبوت، فعدم دخول البيوت بغير إذن، أمر ثابت للمؤمنين، فيه حماية لهم؛ فالجملة تتسجم مع هدف الآية وهو التقرير والتوكيد.

- قوله تعالى: {هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [النور:28]:

تأتي هذه الآية في باب آداب الاستئذان والدخول على البيوت، وتحديدًا عندما لا يُسمح فيها بالدخول، أو لا يُعطى الإذن، فإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها: ارجعوا، فلا تدخلوها، "هو أزكى لكم"؛ فرجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها، أظهر لكم عند الله (الطبري، 1994، 5، ص416).

وفي هذا التركيب النحوي ورد المبتدأ معرفة (ضمير)، وخبره نكرة، فعبارة "هُوَ أَزْكَىٰ" تتكون بنيتها من مبتدأ جاء ضميراً منفصلاً "هو" الذي يعود على الرجوع عن البيوت التي لم يؤذن لكم بالدخول فيها، في حين خبره ورد نكرة مفردة وهو "أَزْكَىٰ". والضمير "هو" اسم يكتئ به عن المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، وله صيغة ثابتة للمفرد والجمع وفي الاتصال بما قبلها، أو الانفصال عنه من الأسماء والأفعال والحروف أيضاً (فياض، 2005، ص26، 27).

فدلالة الجملة الاسمية - هنا - تقرير أنّ علم الله الشامل لأفعال العباد على وجه الدوام والثبوت، وأن أدب الاستئذان والرجوع أصلٌ ثابت يحقق الطهارة للمجتمع واستقامة التعامل.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور:32]:

ففي هذه الآية الكريمة جاء المبتدأ معرفة؛ لفظ الجلالة (الله)، وجاء الخبر (وَاسِعٌ) و(عَلِيمٌ) متعدداً من غير عطف، لعدم وجود تغاير في المعنى، والخبر - هنا - وإن كان متعدداً من جهة اللفظ فهو غير متعدد من جهة المعنى (ابن يعيش النحوي، 2001، ج1، ص89)، فالسعة لا تنفصل عن العلم، لأن العطاء المطلق لا يكون على كماله إلا إذا كان قائماً على العلم المحيط. ولهذا لم يُعطف بين الخبرين، للدلالة على أن المعنى واحد مندمج في كمال الذات الإلهية.

وينطوي تحت هذه الصورة أيضاً -المبتدأ، والخبر متعدّد.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور:18]، فقد ورد المبتدأ معرفة؛ لفظ الجلالة (الله)، والخبر المتعدّد (عَلِيمٌ، حَكِيمٌ)، فالجملة الاسمية هنا دلت على الثبوت والاستمرار؛ فعلم الله وحكمته صفتان دائمتان له، ليستا منقطعتين.

وقوله تعالى: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور:21]، فالمبتدأ معرفة؛ لفظ الجلالة (الله)، والخبر المتعدّد (سَمِيعٌ، عَلِيمٌ)، والدلالة - هنا - تخمن في تحذير المؤمنين من اتباع خطوات الشياطين؛ فحركات الإنسان وأقواله وخواتمه تحت مراقبة الله، فما يخفى عليه شيء لا يعلمه.

وقوله تعالى: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور:22]: والجملة الاسمية مكوّنة - هنا - من مبتدأ لفظ الجلالة (الله)، والخبر (غَفُورٌ، رَّحِيمٌ)، فالتركيب النحوي أفاد أن المعنى محصور في الله تعالى، وكان المغفرة والرحمة خاصة به سبحانه.

- قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور:35]:

ففي هذه الآية الكريمة جاء المبتدأ اسم معرفة؛ لفظ الجلالة (الله)، والخبر معرفاً بالإضافة وهو (نُورُ السَّمَاوَاتِ)، وهذه الصيغة جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار؛ فتقرر أن الله تعالى هو نور السماوات والأرض؛ فهو هاديها ومدبرها ومظهر وجودها،

وهذه حقيقة ثابتة لا تتغير، فالجملة الاسمية جعلت المعنى مطلقاً لا يحدده زمان، لا على سبيل الحدوث العارض، بل على سبيل الثبوت المستمر. وقد نبّه الزمخشري إلى أن النور - هنا - بمعنى الهداية، فجاءت الجملة الاسمية لتدل على دوام هداية الله لعباده، لا على تجددها فحسب (الزمخشري، 1998، 3، ص306).

وذهب الرازي إلى أن التعبير بهذه الصيغة أفاد أن وجود السماوات والأرض قائم بالله تعالى، وأنّ النور كناية عن الإظهار والإيجاد؛ لذا كان لازماً أن يأتي بصيغة جملة اسمية تقرّر الدوام (الرازي، 1981، 23، ص188). فيما يؤكد ابن عاشور أن الجملة الاسمية - هنا - تفيد الملازمة؛ أي أن النور صفة ثابتة لله تعالى لا تنفك عنه. وهكذا تتضح بلاغة الجملة الاسمية في تقرير الحقائق الكلية الكبرى التي لا يعترئها تغيير.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور:35]:

ففي هذا الاستعمال القرآني جاء المبتدأ اسماً ظاهراً، وذلك في لفظ الجلالة (الله)، وقد أسند إلى خبر مفرد نكرة، وهو (عَلِيمٌ)؛ فخير المبتدأ هو الذي يستقيده السامع، ويصير مع المبتدأ كلاماً تاماً، وبالخبر يقع التصديق والتكذيب (ابن يعيش، 2001، 1، ص90). فالمبتدأ معلوم عند المخاطب، والمجهول هو الخبر (السامرائي، 2000، 1، ص154)، فالمسند إليه لفظ الجلالة (الله) معلوم عند المخاطب، فجاء بالخبر (عليم) ليمت معنى الفائدة، فهناك علاقة دلالية واضحة تربط الخبر بالمبتدأ وهي انفراد سبانه وتعالى بالعلم والمعرفة دون شريك له.

فالجملة الاسمية - هنا - تفيد الاستغراق والاختصاص والتفرد، فعلم الله محيط بكل شيء صغيراً كان أم كبيراً، ظاهراً أم باطناً.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور:39]:

في النص القرآني الكريم، جاء المبتدأ لفظ الجلالة (الله) مفرداً معرفاً بـ ال، وجاء الخبر معرفاً بالإضافة وهو (سَرِيعُ الْحِسَابِ) وهذه الجملة جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام، وإضافة (الحساب) للخبر أفاد تخصيصاً وتعظيماً، والله وحده هو الذي يملك هذه القدرة المطلقة.

وفي هذه الآية الكريمة وقع المبتدأ والخبر معرفتين، جاء في معاني النحو: "وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معاً، كقولك: (زيد المنطلق)، و (الله نبينا)، و (محمد نبينا)، ولا يجوز تقديم الخبر هنا بل أيهما قدمت فهو المبتدأ" (السامرائي، 2000، 1، ص168).

وفي مثل هذا التركيب يؤكد السياق القرآني على صفة سرعة الحساب لله تعالى على وجه الثبوت والدوام، وينبه السامع إلى أن الحساب لا مهرب منه، وليس بعيداً ولا معقداً، بل يسير ببسر وسرعة لا تعجز الله عز وجل.

- قوله تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ} [النور:48]:

ورد المبتدأ في الآية الكريم نكرة (فَرِيقٌ)، والخبر - أيضاً - نكرة (مُعْرِضُونَ) في سياق جملة شرطية ظرفية يتبعها جواب مقترن بـ "إذا" الفجائية؛ للدلالة على عمومية صفة الإعراض، ووقوعها فور الدعوة، "إذا فريق منهم يعرضون عن التحاكم إلى شرع الله، لأنهم لا يرضون إلا بما يوافق أهواءهم (الصابوني، 1981، 2، ص345).

فالتركيب النحوي - هنا - ليس فقط أداة لتوصيل المعنى، بل هو وسيلة بلاغية لإظهار الصفة العامة للإعراض، ووقوعها الفوري عند الدعوة إلى التحاكم الشرعي؛ فهي تدل على وقوع الحدث، والإعراض عند بعضهم مباشرة.

- قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [النور:50]:

جاء المبتدأ في هذه الآية اسم إشارة (أُولَئِكَ) الذي يستخدم للإشارة إلى البعيد؛ دلالة على دنو مكانة الظالمين وبُعد منزلتهم في الدار الآخرة، "وبين خوفهم أن يحيف عليهم الرسول ويظلمهم، وليس الرسول بالذي يظلم، بل هم الظالمون، فالقصر الحاصل من تعريف المبتدأ والخبر ومن ضمير الفصل حصر مؤكّد؛ أي هم الظالمون، لا شرع الله ولا حكم رسوله، فقد أفاد ضمير الفصل أن المؤمن عالم أن الله تعالى، هو الحق المبين منذ كان في الدنيا، لا أنه يحدث له علم ذلك يوم القيامة. وبذلك فإن فيه ما يدفع إنكار المنكرين، ويبعدهم عن التشدق (ابن عاشور، 2000، 18، ص273). واسم الإشارة استعمال - هنا - مجازاً لتحقيق اتّصافهم بالظلم، فهم يقيسون الناس حسب ما يقيسون به أنفسهم، فلما كانوا أهل ظلم ظلّوا بمن هو أهل الإنصاف أنه ظالم" (ابن عاشور، 2000، 1، ص273). ولا يخفى قصر الظلم على أولئك الذين يخشون من ظلم الرسول لهم؛ فحقّق الإيغال في وصفهم بالظلم، وصفاً لهم في الرد عليهم ليبقي ثبوته فيهم، وجاء الخبر مشتقاً بلفظ (اسم فاعل)، محولاً بالمعنى إلى الصفة المشبهة؛ ليدلّ على ثبات هذه الفكرة في ذهنهم. فاسم الإشارة، وهو المسند إليه، (أُولَئِكَ) أكّد الحكم بالظلم على أولئك؛ زيادة في الإيضاح والتقرير، وتأكيد اختصاصه بالمسند (الظالمون).

- قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور:51]:

تأتي هذه الآية ضمن سلسلة الأوامر والنواهي تحديداً في ختام وصف المؤمنين المتقين والمتمسكين بأدب الاستئذان وحقوق الناس، فجاء المبتدأ فيها اسم إشارة (أُولَئِكَ)، الذي أستخدم للإشارة إلى البعيد؛ تعظيماً لمن قالوا سمعنا وأطعنا، وجاء الخبر (الْمُفْلِحُونَ) ليصف المؤمنين بالفلاح، فهم الفائزون بكل مطلب، الناجون من كل محذور، فاسم الإشارة المبتدأ دلّ على أنّ الثناء - هنا - خاصّ بالمؤمنين؛ لرسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكروه، وفيه تعريض بالمنافقين الذين يقولون كلمة الطاعة ثم

ينقضونها بضدّها من كلمات الإعراض والارتياح (ابن عاشور، 2000، 18، 275). فالتركيب النحوي فيه تقرير بأن الالتزام بأدب الاستئذان والنظام الاجتماعي لا يمرّ مرور الكرام، بل هو طريق الفلاح الحقيقي في الدنيا والآخرة وبشرى للمؤمنين.

- قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52]:

نلاحظ أنّ نظم الكلام في هذه الآية وسابقتها {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} جاء على هذا الإطناب؛ ليحصل تعميم الحكم والمحكوم عليه. وموقع هذه الجملة موقع تذييل؛ لأنها تعمّ ما ذكر قبلها من قول المؤمنين "سمعنا، وأطعنا" وتشمل غيره من الطاعات بالقول أو بالفعل (ابن عاشور، 2000، 18، 276).

وجاء المبتدأ في هذه الآية اسم إشارة (أولئك) الذي يستخدم للإشارة إلى البعيد، والبعد إما أن يكون حسيّاً، وإما أن يكون معنويّاً، والمعنوي قد يكون في الخير، وقد يكون في الشرّ، وهنا البعد جاء في الخير، فالذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخشية الله وتقواه، هم الفائزون بنجاتهم من العذاب، الفائزون بالنعيم المقيم. والشاهد في هذا التركيب {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} وهي جملة اسمية مكوّنة من عنصريين: الأول مبتدأ جاء في صيغة اسم الإشارة (أولئك)، والثاني خبره معرّف بـ ال في لفظة (الفائزون)، والمبتدأ (فأولئك) جواب الشرط (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ ... فَأُولَئِكَ) دلّ على الظفر بالمطلوب الصالح، وامتنال الأوامر واجتناب النواهي، والحذر من مخالفة التكليف في المستقبل، وفي هذا دلالة على علو مكانة المؤمنين وبعد منزلتهم في الدار الآخرة؛ لذا فالآية جمعت أسباب الفوز في الدنيا والآخرة (ابن عاشور، 2000، 18، 276). وجاءت الجملة الاسمية للدلالة على الأمر العظيم في باب الخير، وهو الفوز في الحياة الدنيا والآخرة، ولتطمئن المؤمنين وتثبتهم وتبشّرهم.

- قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55]:

جاء المبتدأ في هذه الآية اسم إشارة (أولئك) للإشارة إلى تحذير مَنْ كفر بعد الإيمان وما حصل له من البشارة عليه، فهم الفاسقون البعيدون عن الحقّ، التائهون في تيه الغواية والضلال، الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان، وقد عبّر عن ذلك في أول الآية بقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...} [النور: 55]، ويدلّ ذلك على أنّ هذه الفئة من المنافقين قد يعبدون الله؛ ولكنهم يشركون معه غيره (ابن عاشور، 2000، 1، 289).

كما جاء الخبر معرّفاً بـ (ال)، فلم يقل: (فأولئك فاسقون) أو (من الفاسقين) بل قال: {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} للدلالة على أنّه الفسق الكامل، فـ (ال) في قوله تعالى: (الْفَاسِقُونَ) جاءت دلالة على الاستغراق، ومعنى ذلك أنّهم استغرقوا جميع أنواع الفسق، فكانوا يظهرون الإسلام اتقاء من تمام أمر الإسلام، ويبطنون الكفر ممالأة لأهل الشرك حتى إذا ظهروا على المسلمين لم يلمزوا المنافقين بأنّهم قد بدّلوا دينهم (ابن عاشور، 2000، 1، 282). وهنا جاء المسند إليه (أولئك) لزيادة الإيضاح والتقرير، وتأكيد اختصاصه بالمسند (الفاسقون).

نلاحظ أنّ التعبير عن الخير في التراكيب السابقة جاء - من جهة اللفظ - على صورة أسماء الفاعلين: (الظالمون، المفلحون، الفائزون، الفاسقون) ما يدلّ على اللزوم؛ لزوم الوصف للموصوف حكماً وحتماً، ولأن السياق يعكس عدم التحول عن ملابسة الوصف، فدل بهذا التلازم على تحول الصيغة - من جهة المعنى - إلى الصفة المشبهة باسم الفاعل، التي تستدعي معنى الثبوت والدوام، وهذا أبلغ من التعبير بالأفعال؛ لأنّ الأفعال تدلّ على التجدد والحدوث، "وإنّما يرجع إثبات صيغة اسم الفاعل - هنا - دون الفعل؛ لأنّه يدلّ بصيغته على الاتصال بالحدث، كما يدلّ بمعناه على عدم التقييد والتجديد" (رضوان، 2017، ص154)، فالتعبير بصيغة اسم الفاعل المحول - من جهة المعنى - إلى الصفة المشبهة، قد أبرز اتصافهم بتلك الأوصاف على جهة التلازم المفضي إلى الثبوت والدوام، وهذا أقوى في أداء المعنى وأبلغ.

4.2 المبتدأ، والخبر الجملة:

4.2.1 فلسفة الجملة:

الجملة كلمتان أساسيتان لا بدّ منهما للحصول على معنى مفيد، كالفعل مع فاعله، أو مع نائب فاعله. ويأتي الخبر جملة اسمية، مثل: محمد أخوه شرطي، وجملة فعلية، مثل: محمد يقرأ القرآن، "ولا بدّ لكل واحدة من هاتين الجملتين إذا وقعت خبراً عن مبتدأ، من ضمير يعود إليه منها" (ابن جني، د. ت، ص27).

ويستعمل الخبر الجملة لتقوية الحكم على المبتدأ، فالجملة من الدلالة أقوى من الاسم المفرد، يقول القزويني في إيضاحه: "وفعليتها لإفادة التجديد، واسميتها لإفادة الثبوت، فإنّ من شأن الفعلية أن تدلّ على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدلّ على الثبوت" (القزويني، 1953، ص133). وبهذا يصبح الخبر الجملة أداة بلاغية للتوكيد والإيضاح، ويتجاوز قوة الاسم المفرد في الحكم.

4.2.2 أقسام الجملة:

وقسم النحاة الجملة إلى قسمين، هما:

- الخبر جملة اسمية:

ورد هذا النوع من الخبر في آية واحدة من آيات سورة النور، حسب علم الباحثين، وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً} [النور: 39]:

إن الناظر في هذا التركيب النحوي يجد الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ اسم موصول (الَّذِينَ)، جيء به للدلالة على العموم والإبهام، ومن خبر جملة اسمية (أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ)، متكونة من مبتدأ وخبر، والرابط بين المبتدأ الأول والخبر الجملة الاسمية هو الضمير (هُم) العائد على الاسم الموصول (الَّذِينَ)؛ فوجود الضمير (هُم) ضرورة نحوية وبلاغية، ولولاه لكان الكلام مفككاً خالياً من الاتصال في المعنى، ولو تقدّم الخبر لصحّ الاستغناء عن الضمير، نحو: (أعمال الذين كفروا كسراب)، "وبين الله -عزّ وجلّ- مصير الكافرين الذين جحدوا توحيد ربهم، وكذبوا بهذا القرآن، فأعمالهم التي عملوها في غرور، وحسبوا أنها مُنجيئهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماءً يُرويه من ظمئه، لكنه لم يجد شيئاً، فوفاه الله حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه" (الطبري، 5، 1994، ص 431).

فالجمله الاسمية وخبرها الجملة الاسمية دلّتا على تقرير الحكم على الكافرين بثبوت بطلان أعمالهم، وقد جاءت -الخبر جملة اسمية- في صورة بديعية تعكس استحالة انتفاعهم من هذه الأعمال، كما يستحيل أن يجد الظمآن ماء في السراب.

- الخبر جملة فعلية:

تكرر ورود الخبر جملة فعلية في هذه السورة، وهو أمر لافت؛ يستدعي التأمل والنظر، لما تعكس الجملة الفعلية من دلالات متعددة وأحداث مستمرة... ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: {الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور:3].

جاءت الجملة الاسمية مكونة من المبتدأ (الرَّانِي) الدال على العموم والشمول، والخبر (لَا يَنْكِحُ) جملة فعلية فعلها مضارع، الدالّ على الحركة والتجدد والاستمرار، ثم جاءت الجملة الثانية: (وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) على النمط نفسه، لتأكيد المعنى بالتقابل والموازنة؛ فجاء النص محكماً عبر المقابلة بين جملتين: (الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)؛ ليرسخ المعنى في الذهن، ويؤكد شمول الحكم للطرفين معاً، وقد حصرت الجملة الاسمية العلاقات الممكنة بين الزنا في دائرة مغلقة، لتبين خطورة هذا الفعل من الناحية الاجتماعية والدينية، من خلال استخدام أسلوب الحصر بـ "لا...، إلا"، وفي نهاية الآية جاء الحكم الشرعي فاصلاً بين المؤمن والفاجر، وهو ما أضفى على النص القرآني بعداً تشريعياً صارماً، ثم ختمت الآية بجملة فعلية (وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) تقريراً للحكم الشرعي بلهجة صارمة قاطعة. وبهذا جمعت الآية الكريمة بين ثبات الحكم وشموله من خلال المبتدأ المعرف بالجنس، وتجدد الفعل من خلال الخبر الجملة الفعلية، ما منح النص قوة نحوية وبلاغية في آن واحد؛ "لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت" (الجرجاني، 1992، ص 175).

- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:4]:

وجاء المبتدأ في هذا التركيب اسماً موصولاً (الَّذِينَ)، للدلالة على العموم والإبهام، وجاء الخبر جملة فعلية متكونة من فعل وفاعل ومفعول به، والضمير (هم) يعود على المبتدأ (الذين)، ولولا هذا الضمير لم يصح أن تكون هذه خبراً عن هذا المبتدأ؛ لأن الجملة كل كلام مستقل قائم بنفسه، فإذا لم يكن في الجملة ذكر يربطها بالمبتدأ حتى تصبح خبراً، وتصبح الجملة من تمام المبتدأ تكون الجملة أجنبية من المبتدأ (ابن يعيش، 2001، 1، 91).

كما تبيّن أن الضمير (هُم) في (فأجلدوهم) قد أفاد الحصر واختصاص الذين يقذفون المحصنات بالفسق والفجور.

ومن هنا، تكمن دلالة الجملة الاسمية في أنها وضحت حكم جلد القاذف، في حين أعطى الخبر الجملة الفعلية النص دلالة عملية وواقعية على تنفيذ الحكم الشرعي.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور:19]:

ورد المبتدأ في الآية الكريمة اسماً معرفة؛ لفظ الجلالة (الله)، والخبر جملة فعلية (متكونة من الفعل والفاعل الضمير المستتر العائد على المبتدأ)، وهذا يحقق الربط بين المبتدأ والخبر، فيكون المعنى متماسكاً، وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ الجملة الواقعة خبراً لا بدّ لها من وجود ضمير رابط يعود على المبتدأ، و" الروابط أنواع كثيرة، منها الضمير الراجع إلى المبتدأ، ومنها الإشارة إلى المبتدأ السابق ... (حسن، د. ت، 1، ص 467-468).

وفي قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} إشارة إلى أن الله وحده يعلم كذب الذين جاؤوا بالإفك من صدقهم، والناس لا يعلمون ذلك، لأنهم لا يعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك عالم الغيوب، فلا تزووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلائل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (الطبري، 1994، 5، ص 409-410).

وعبر عن الخبر في الجملة الاسمية بالفعل المضارع (يَعْلَمُ) للدلالة على التجدد والحدوث، فهي توحى باستمرار تجدد العلم الإلهي في كل وقت، بخلاف لو كان الخبر مفرداً لأعطى معنى ثابتاً ساكناً.

وجاءت في الآية الكريمة نفسها جملة اسمية ثانية مبدوءة بضمير الخطاب (أَنْتُمْ)، وخبرها جملة فعلية منفية (لَا تَعْلَمُونَ) لتقابل بين علم الله المطلق وجهل البشر النسبي، ففيها تقرير الفارق بين العالم المطلق والمحدود الجاهل. فالجملة الاسمية - هنا - تدل على الثبات والرسوخ لصفة العلم الإلهي، والمقابلة بين كمال علم الله ونقص علم البشر، بما يحمل بعداً عقدياً وتربويّاً معاً، كما تحذّر من إشاعة الفاحشة.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [النور:29]:

جاءت هذه الآية في سياق الأحكام المتعلقة بدخول البيوت والأدب الاجتماعي، وفي تفصيل مجالات العلم المطلق لله، لتبين أنه يشمل السر والعلانية، لذا كان الختام تقريراً لمراقبة الله للظاهر والباطن. فالله يعلم علانيتكم (ما تبذرون) وسرائركم (ما تكتُمون)، فلا مجال للمخادعة أو الازدواجية (الطبري، 1994، 5، 416-417).

وبدئت الجملة الاسمية بلفظ الجلالة (الله)؛ لأن الحكم ثابت ومستقر؛ فإحاطة الله بما يُظهره العبد وما يخفيه ليست عارضة، بل صفة دائمة له، وجاء الخبر جملة فعلية (يَعْلَمُ)، والرابط بين المبتدأ والخبر الجملة هو الضمير المستتر العائد على لفظ الجلالة (الله)، وتصدير الكلام بالمبتدأ، وهو لفظ (الله) مع تعريفه بلفظ الجلالة، وربط الخبر بالضمير العائد على لفظ الجلالة فيه إظهار للمعنى، وإبلاغ بأن المتكلم عنه (الله) هو وحده صاحب العلم الشامل.

ومن هنا فدلالة الجملة الاسمية في هذه الآية هي تقرير صفة العلم لله تعالى على وجه الثبات والدوام، والتنبيه على شمول علمه للظاهر والباطن، مع تأكيد أن العبد مراقب في سره وعلانيته.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور: 45]:

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن قدرة الله التامة، وسلطانه العظيم في خلق أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد (الصابوني، 1981، 2، ص344)، فجاءت الجملة الاسمية في المطلع والمكثونة من المبتدأ لفظ الجلالة (الله)، ومن الخبر الجملة الفعلية (خَلَقَ)؛ لتقرر القاعدة الكلية: الأصل الجامع بين كل المخلوقات هو أنها مخلوقة لله من ماء، فهذا الخلق المتنوع مخلوق بقدرة الله - عز وجل - التي لا يعجزها شيء.

فالجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام، فهي توحى بقدرة الله تعالى على الخلق، فهو وحده الخالق لجميع الدواب من أصل واحد وهو الماء، وهذا أمر ثابت، وليس حدثاً عابراً، كما أنها تؤكد على عظمة القدرة الإلهية، وتنوع المخلوقات، بوصفها شاهداً على هذه القدرة.

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النور: 46]:

ورد المبتدأ في الآية الكريمة معرفة، وهو لفظ الجلالة (الله)؛ ليُرسخ في ذهن السامع أن الهداية فعل خاص بالله وحده، فلا يملكها غيره، وفي ذلك قصر للهداية عليه سبحانه، وجيء بالخبر جملة فعلية متكوّنة من فعل وفاعل ومفعول به، وهي (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، لتدل على أن الهداية إلى الأحكام الدينية تكون بتوفيق الله للنظر الصحيح فيها وإرشاده إلى التأمل في مطاويها، وصولاً إلى الحق والفوز بالجنة (أبو السعود، د. ت، 6، ص186)، والرابط بين المبتدأ والخبر جملة هو الضمير المستتر العائد على لفظ الجلالة (الله)، وفي هذا إشارة إلى تجدد فعل الهداية، وأنها ثابتة لا تتغير؛ فهي منسوبة لله، عز وجل.

ففي مجيء التعبير عن الخبر في الجملة الاسمية بالفعل المضارع دلالة على الثبوت من جهة المبتدأ، والدوام والاستمرار من جهة الخبر؛ ففعل الهداية حقيقة ثابتة كما تقرر في الجملة الاسمية الكبرى، ومتجددة ملازمة لله وحده كما تقرر في الجملة الفعلية الصغرى.

4.3 المبتدأ، والخبر شبه جملة:

فلسفة الخبر شبه الجملة

والخبر شبه جملة، هو ما يتكوّن من ظرف أو جار ومجرور تامين مكملين للمبتدأ فيؤديان معنى تاماً، والمقصود بالخبر شبه الجملة هو الظرف والجار والمجرور، "ويقدر النحاة لهما محذوفاً يتعلقان به، هو عند أكثرهم فعل (استقر)، أو (كان)، وعند قسم آخر اسم (كائن أو مستقر)" (السامرائي، 2000، 1، ص189)، فإذا أريد الحدث فُذِرَ فعل بحسب الزمن، وإذا أريد الثبوت فُذِرَ اسم. وسمي الظرف والجار والمجرور شبه جملة، لأن كلا منهما قد يدل على جملة معناها، ولا معنى لها دون متعلقهما (أحمد قبش، 1979، ص98)، ويُشترط في الخبر شبه الجملة أن يكمل الأخبار به المعنى المطلوب من غير خفاء (مطرجي، 2008، ص162):

أقسام الخبر شبه الجملة

- الخبر شبه جملة؛ جار ومجرور:

- قوله تعالى: {لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: 11]:

ورد في هذه الآية جملتان اسميتان، جاء الخبر فيهما متقدماً على المبتدأ. ففي قوله تعالى {لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ}، تقدّم الخبر شبه الجملة؛ الجار والمجرور (لِكُلِّ) على المبتدأ الذي ورد اسماً موصولاً (ما)، "وتقديم الخبر هنا من باب الاختصاص، والحصص" (السامرائي، 2000، 1، ص154).

وتجسد هذا اللون - أيضاً - في قوله تعالى: {لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ففي هذا التركيب الإنشائي تقدّم الخبر على المبتدأ الذي ورد شبه جملة؛ جار ومجرور (لَهُ)، أما المبتدأ فورد نكرة مؤخرة (عَذَابٌ)، وتكثير العذاب يبنى بشدته وهوله وتنوعه، ولام (له) للاختصاص، وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لقصر المسند إليه على المسند، أي لقصر العذاب -يوم القيامة- على الذين جاؤوا بالكذب والبهتان (الطبري، 1994، 5، ص400-401).

فاجتماع الجملتين الاسميتين في هذه الآية الكريمة يؤكد أمرين، أولهما: العموم والثبوت؛ ليشمل الخائضين في حادثة الإفك جميعهم، وثانيهما: بيان الحكم الخاص بأشدهم جرماً، فالعذاب العظيم حق لازم له دون غيره.

- قوله تعالى: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور:26]:

لقد اختص الله -عز وجل- الطيبين المنزهين مما تقوله أهل الإفك بمغفرة لذنوبهم، ورزق كريم في جنات النعيم (الصابوني، 1981، 2، ص334)، وهذا لهم وليس لغيرهم. وجاء المبتدأ (مَغْفِرَةٌ) في هذا التركيب اسماً نكرة مؤخراً، وتكثير المغفرة يبنى بكثرة وتنوعها، وبالرزق الكريم. أما الخبر فجاء شبه جملة متقدماً وجوباً؛ لأن المبتدأ نكرة، وتقديم الجار والمجرور (لَهُمْ) على متعلقه (مَغْفِرَةٌ) جاء لغرض تخصيص العذاب للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، ولغيرهم في الدنيا والآخرة، والتشويق والترقب لمعرفة ما الذي يختص بهم، فكان الجواب: (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). ولعل ما يمكن ملاحظته تكرر هذا الأسلوب في القرآن الكريم في مواقع مشابهة، مثل: {لَهُمْ جَنَّاتٌ} [البقرة:25، لقمان:8، البروج:11، {لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} [التوبة:21].

- قوله تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور:26]:

فالخبثيات من النساء للخبثيين من الرجال، والخبثيون من الرجال للخبثيات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء (الصابوني، 1981، 2، ص334). والآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن حادثة الإفك وتبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وجاء التركيب النحوي في الجملة الاسمية في الآية السابقة مكوناً من مبتدآت معرفة بـ ال: (الْخَبِيثَاتُ)، و(الْخَبِيثُونَ)، و(الطَّيِّبَاتُ)، و(الطَّيِّبُونَ)، والتعريف - هنا - للاستغراق أو الجنس والعموم؛ أي يشمل كل من ينطبق عليه الوصف بالخبث أو الطيب من النساء أو الرجال. "فلا يشذ واحد من أفراد الجنس من هذا الخبث أو الطيب" (السامرائي، 2000، 1، ص108)، والمعرفة تكون لما هو محدود ومعلوم بخلاف النكرة. وجاءت الأخبار شبه جملة: (لِلْخَبِيثِينَ)، و(لِلْخَبِيثَاتِ)، و(لِلطَّيِّبِينَ)، و(لِلطَّيِّبَاتِ)، وهذا أسلوب بلاغي يفيد القصر والاختصاص، فليس للخبثيات إلا الخبيثون، وليس للطيبات إلا الطيبون.

فالجملة الاسمية تدل على الثبوت والتأكيد، وشبه الجملة تقيد الارتباط الوثيق بين الخبيثين والخبثيات، وكأنهم ملتصقون لا ينفصلون عنهن، وكذلك الطيبون للطيبات. وهذا تأكيد وبرهان على براءة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أطيب الطيبين، فزوجته لا تكون إلا طيبة مثله.

- قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} [النور:35]:

جاءت الجملة الاسمية {مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ}، مكونة من مبتدأ معرف بالإضافة {مِثْلُ نُورِهِ}، وخبر شبه جملة؛ جار ومجرور (كَمِشْكَاةٍ)، والضمير في قوله (نُورِهِ) عائد على لفظ الجلالة (الله)، أي مثل نور الله، فالكلام تمثيل لهيئة إرشاد الله للمؤمنين بهيئة المصباح الذي حققت به وسائل قوة الإشراف، فهو نور الله لا محالة (ابن عاشور، 2000، 18، ص234). وهذه الجملة تدل على الثبوت، فنور الله دائم وثابت ومستمر لا ينطفئ ولا يتحدد بزمن معين، بخلاف لو جاء الخبر جملة فعلية، فيحتمل التجدد أو الانقطاع، وتقدم الخبر شبه الجملة (كَمِشْكَاةٍ)، جاء بغرض جعل النور الإلهي يتحد مع المشكاة، فكانهما مندمجان، لا فاصل بينهما. وقوله {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، حيث تكوّن التركيب النحوي من مبتدأ نكرة (مِصْبَاحٌ)، وخبر شبه جملة؛ جار ومجرور (فِيهَا)، وتقديم الخبر - هنا - واجب؛ لأن المبتدأ نكرة، فلا مسوغ في الابتداء به" (السامرائي، 2000، 1، ص154)، لكنه في الوقت نفسه عمل على إظهار مكان المصباح قبل ذاته، ليشدد على أن المشكاة هي الحاضنة والوضع الطبيعي لنور المصباح. وهذا النمط يشير إلى تشويق المتلقي لسماع ما سيكتشف لاحقاً من تفاصيل، والمقصود كمصباح في مشكاة، وإنما قدم (المشكاة) في الذكر لأن المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشبه به هو مجموع المركب المبتدئ بقوله (كَمِشْكَاةٍ) والمنتهي بقوله (ولو لم تمسسه نار)، فلذلك كان دخول كاف الشبه على كلمة (مشكاة) دون لفظ (مِصْبَاح) لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ (مِصْبَاح)، بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة لمتخيله حين يلمح الناظر إلى انبثاق النور، ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاة، ثم يبدو له مصباح في زجاجة (ابن عاشور، 2000، 18، ص235). إذن، فالجملة الاسمية في هذه الآية تدل على وجود المصباح في موضعه (المشكاة) وهذا أمر ثابت ومستقر، كما أنها توحى إلى التعظيم والتفخيم؛ أي أن في المشكاة مصباحاً عظيماً.

ثم تأتي الجملة الاسمية الثالثة: {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}؛ أي أن السراج الذي في المشكاة (القنديل)، وهو الزجاجة، مثل القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أثار الله قلبه في صدره (الطبري، 1994، 5، ص426)، فجاء المبتدأ (الْمِصْبَاحُ) معرفة، والخبر شبه جملة (فِي زُجَاجَةٍ). "وإعادة لفظ (المصباح) دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة، إظهار في مقام الإضمار للتنبؤ بذكر المصباح لأنه أعظم أركان هذا التمثيل" (ابن عاشور، 2000، 18، ص236)، وهذا التركيب يدل على الاستقرار والثبات، فالمصباح في موضعه (الزجاجة)، إشارة إلى الإحكام الإلهي واكتمال الصورة: المشكاة، ثم المصباح، ثم الإحاطة بالزجاجة.

وكذلك الجملة الاسمية {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}، حيث ورد المبتدأ معرفة (الزُّجَاجَةُ)، والخبر تشبيه مبدوء بحرف تشبيهه (كَأَنَّ)، ولعل إعادة لفظ (الزجاجة) يعدّ من أعظم أركان التمثيل، ما يوحي بقوة التلاؤم والإشراق، ودلالاتها الثبوت، فصفاء الزجاجة أمر ثابت في الذهن لا يزول.

- قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [النور:42]:

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن الملك الإلهي؛ فالله المالك والمتصرف في الكون، وجميع المخلوقات تحت ملكه، يتصرف فيهم تصرف الفاهر الغالب، وإليه مرجع الخلائق فيجازيهم على أعمالهم (الصابوني، 1981، 2، ص343). وفي هذا النص القرآني جاء الخبر شبه جملة؛ جار ومجرور (لله) مقدماً، جاء المبتدأ معرفاً بالإضافة وهو (مُلْكُ السَّمَاوَاتِ)، وهذه الجملة الاسمية تدل على الشمول والإحاطة الكاملة، فملك الله -عز وجل- لا يخرج عنه شيء في السماوات والأرض. إن تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ يفيد الحصر، فالملك كله لله وحده دون غيره، ويؤكد ثباته، وإحاطة سلطانه لكل شيء، وما سواه فملكهم زائل لا محالة.

- قوله تعالى: {أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [النور:50]:

ورد المبتدأ في الآية الكريمة نكرة (مَرَضٌ)، والخبر شبه جملة مقدم (أَفِي قُلُوبِهِمْ)، فتركيب الجملة الاسمية (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بخبرها شبه الجملة المقدم وجوباً جاء لتصوير النفاق داءً دفيناً في أعماق موضع من الإنسان وهو (القلب)، وللتشنيع عليهم بأن العلة مستحكمة في القلوب، وللدلالة على تخصيصهم بهذا المرض (النفاق).

- الخبر شبه جملة ظرفية:

وهذا النمط من الجمل الاسمية يشير إلى لفت انتباه المخاطب إلى المبتدأ، وجعله محور الكلام، وهو قليل الحضور في سورة النور، ومن الشواهد عليه:

- قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} [النور:40]: عبرت الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ نكرة (مَوْجٌ)، وخبره (مِنْ فَوْقِهِ) شبه جملة ظرفية، عن ضلال الكفار، وظلمهم المتكاثف المتراكم، ومصيرهم إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار، وجاءت هذه الآية في سياق تشبيه أعمال الكافرين بالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض؛ لتجسد حالة الكافر: ظلمات فوق ظلمات. فالجملة الاسمية تدل على التعظيم والتكثير، وتشير إلى مصير الكافرين حيث العذاب يوم القيامة.

أما قوله تعالى: {بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ}، فجاءت الجملة الاسمية من مبتدأ (بَعْضُهَا) معرفاً بالإضافة، وخبره (فَوْقَ بَعْضٍ) شبه جملة ظرفية؛ لتصوير تراكم الظلم، فهي طبقات متراكمة، لا منفذ فيها لنور، فالجملة فيها تأكيد على أن الكافر محكوم بالتية والظلم المتضاعف.

5. خاتمة

الخطاب القرآني مليء بما يدعو القارئ للتوقف عنده؛ فعجائبه كثيرة وأسواره عميقة، وتعد سورة النور ميداناً خصباً للبحث البلاغي والنحوي، بما يكشف عن عمق النظم القرآني ودقة التناسب بين اللفظ والمعنى، ومن خلال هذه الدراسة توصل الباحثان إلى مجموعة من النتائج نوجزها كما يأتي:

1. هناك علاقة وطيدة تربط علم النحو بعلم البلاغة.
2. لم ترد بنية الجملة الاسمية لمجرد التنوع الأسلوبي، بل جاءت لما تحقّقه من دلالات الثبوت والاستقرار والدوام والاختصاص، وهي دلالات تنسجم وطبيعة القيم والمبادئ التي رسختها السورة في مجالات الإيمان والسلوك والتشريع.
3. تنوعت أنماط الجمل الاسمية في السورة بين الخبر المفرد، والجملة، وشبه الجملة، وجاء هذا التنوع محققاً لمقاصد مختلفة، منها: التوكيد، والاستمرار، والقصر، والاختصاص.
4. دلت الجملة الاسمية التي يكون فيها المسند اسماً على الثبات والاستقرار، في حين دلت، إذا كان المسند جملة، على التجدد والتغير، وهذا التنوع عكس غناء النظم القرآني ودقته على توجيه المعنى بما يتلاءم والمقام الخطابي.
5. اشتملت السورة على أغراض كثيرة، منها: عقاب من يقذف المؤمنين المحصنات، وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة، والتحذير من الوقوع في حبال الشيطان، وغيرها من الأغراض.

6. التوصيات

ومن كل ما سبق يوصي الباحثان بما يأتي:

ضرورة متابعة هذا الجانب من الدراسة، وتناول دلالة الجملة؛ الاسمية والفعلية في سور القرآن، وتوسيع نطاق البحث ليشمل ظواهر لغوية وخطابية أخرى، بهدف المقارنة بين خصائص الجمل الاسمية والفعلية في كل سورة، واستكشاف الفروق الأسلوبية والدلالية بينها.

7. قائمة المراجع

7.1 المراجع العربية

- القرآن الكريم.
- البكري، أحمد ماهر، (د. ت)، نظرات في سورة النور، الإسكندرية - مصر، مؤسسة الثقافة الجامعية.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (أبو بكر)، (1992)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر. الطبعة الثالثة. جدة - السعودية، دار المنى.
- ابن جني، عثمان أبو الفتح، (د. ت)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار. الطبعة الثانية. بيروت - لبنان، دار الهدى للطباعة والنشر.
- حسن، عباس، (د. ت)، النحو الوافي، الطبعة الثالثة، مصر، دار المعارف.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (1981)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- رضوان، طه، (2017)، تلوين الخطاب في القرآن، دراسة في ضوء علم الأسلوب وتحليل النص، الطبعة الأولى، الإسكندرية - مصر، المكتب الجامعي الحديث.
- الزجاج، إبراهيم بن السري (أبو إسحاق)، (1988)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شبلي، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، عالم الكتب.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (1998)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السامرائي، فاضل صالح، (2000)، معاني النحو، الطبعة الأولى، عمان - الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (د. ت)، تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- سبويه، (1998)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة - مصر، مكتبة الخانجي.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (أبو يعقوب)، (1987)، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- الصابوني، محمد علي، (1981)، صفوة التفاسير، الطبعة الرابعة، بيروت - لبنان، دار القرآن الكريم.
- الطبري، محمد بن جرير، (1994)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (2000)، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع.
- فياض، سليمان، (2005)، النحو العصري، القاهرة - مصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- قبش، أحمد، (1979)، الكامل في النحو والصرف والإعراب، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، دار الجبل.
- القزويني، الخطيب، (1953)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد خفاجي، الطبعة الثانية، القاهرة - مصر، دار إحياء الكتب العلمية.
- أبو المكارم، علي، (2007)، الجملة الاسمية، الطبعة الأولى، القاهرة - مصر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- مطرجي، محمود، (2008)، في النحو وتطبيقاته، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، دار النهضة.
- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، (1964)، مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الطبعة الأولى، دمشق - سوريا، دار الفكر.
- ابن يعيش، (2001)، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.

7.2 رومنة المراجع العربية

- Al-Qur'ān al-Karīm.
- Al-Baqari, A. M. (n.d.). Nazarat fi Surat al-Nur [Insights into Surat Al-Nur]. Alexandria, Egypt: Muassasat al-Thaqafah al-Jami'iyyah.
- Al-Jurjani, 'A. al-Q. b. 'A. al-R. (1992). Dala'il al-i'jaz [Proofs of inimitability] (M. M. Shakir, Ed.; 3rd ed.). Jeddah, Saudi Arabia: Dar al-Muna.
- Ibn Jinni, 'U. A. al-F. (n.d.). Al-Khasa'is [The characteristics] (M. 'A. al-Najjar, Ed.; 2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Huda lil-Tiba'ah wal-Nashr.
- Hassan, Abbas. (n.d.). Al-Nahw Al-Wafi. 3rd ed. Egypt: Dar Al-Ma'aref.
- Al-Razi, F. al-D. M. b. 'U. (1981). Al-Tafsir al-kabir wa-mafatih al-ghayb [The great commentary and keys to the unseen] (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr lil-Tiba'ah wal-Nashr wal-Tawzi'.
- Radwan, T. (2017). Talwin al-khitab fi al-Qur'an: Dirasah fi daw' 'ilm al-uslub wa-tahlil al-nass [Coloration of discourse in the Qur'an: A study in light of stylistics and text analysis] (1st ed.). Alexandria, Egypt: Al-Maktab al-Jami'i al-Hadith.

- Al-Zajjaj, I. b. al-S. (1988). Ma'ani al-Qur'an wa-i'rabuhu [Meanings of the Qur'an and its syntax] ('A. al-J. 'A. Shibli, Ed.; 1st ed.). Beirut, Lebanon: 'Alam al-Kutub.
- Al-Zamakhshari, A. al-Q. J. Allah. (1998). Al-Kashshaf 'an haqa'iq al-tanzil wa-'uyun al-aqawil fi wujuh al-ta'wil [The revealer of truths of revelation] ('A. A. 'Abd al-Mawjud & 'I. M. Mu'awwad, Eds.; 1st ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Maktabat al-'Ubaykan.
- Al-Samarra'i, F. S. (2000). Ma'ani al-nahw [Meanings of grammar] (1st ed.). Amman, Jordan: Dar al-Fikr lil-Tiba'ah wal-Nashr wal-Tawzi'.
- Abu al-Sa'ud, M. b. M. al-'Imadi. (n.d.). Tafsir Abi al-Sa'ud: Irshad al-'aql al-salim ila mazaya al-Qur'an al-karim [Tafsir of Abu al-Sa'ud: Guiding the sound mind to the merits of the Holy Qur'an]. Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Sibawayh, A. B. 'U. (1998). Al-Kitab [The book] ('A. al-S. Harun, Ed.; 3rd ed.). Cairo, Egypt: Maktabat al-Khanji.
- Al-Sakaki, Y. b. A. B. M. (1987). Miftah al-'ulum [The key to sciences] (N. Zarzur, Ed.; 2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Sabuni, M. 'A. (1981). Safwat al-tafasir [The elite of commentaries] (4th ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Qur'an al-Karim.
- Al-Tabari, M. b. J. (1994). Jami' al-bayan 'an ta'wil ay al-Qur'an [The comprehensive exposition of the interpretation of the verses of the Qur'an] (B. 'A. Mar'uf & 'I. F. al-Haristani, Eds.; 1st ed.). Beirut, Lebanon: Muassasat al-Risalah.
- Ibn 'Ashur, M. al-T. (2000). Tafsir al-tahrir wal-tanwir [The verification and enlightenment commentary]. Tunis: Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr wal-Tawzi'.
- Fayyad, S. (2005). Al-Nahw al-'asri [Modern grammar]. Cairo, Egypt: Markaz al-Ahram lil-Tarjamah wal-Nashr.
- Qabash, A. (1979). Al-Kamil fi al-nahw wal-sarf wal-i'rab [The complete guide in grammar, morphology, and parsing] (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Jabal.
- Al-Qazwini, al-Khatib. (1953). Al-Idah fi 'ulum al-balaghah [Clarification in sciences of rhetoric] (M. Khafaji, Ed.; 2nd ed.). Cairo, Egypt: Dar Ihya' al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Abu al-Makarim, A. (2007). Al-Jumla al-ismiyyah [The nominal sentence] (1st ed.). Cairo, Egypt: Muassasat al-Mukhtar lil-Nashr wal-Tawzi'.
- Matarji, M. (2008). Fi al-nahw wa-tatbiqatih [On grammar and its applications] (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Nahdah.
- Ibn Hisham, J. al-D. al-Ansari. (1964). Mughni al-labib [The sufficient of the intelligent] (M. al-Mubarak & M. 'A. Hamdallah, Eds.; 1st ed.). Damascus, Syria: Dar al-Fikr.
- Ibn Ya'ish, M. al-D. (2001). Sharh al-mufasssal lil-Zamakhshari [Commentary on Al-Mufasssal of Al-Zamakhshari] (I. Ya'qub, Ed.; 1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

The Syntactic Constructions and Semantic Significance of the Nominal Sentence in Surat An-Nur

Imad Saad Abu Hasan^{1*}, Jameel Hussein Ayyash²

^{1,2} Department of Arabic Language and Media, Faculty of Arts and Education, Arab American University, Palestine

Corresponding Author: emad.abuhasan@aaup.edu

Received: 02/05/2026

Revised: 13/05/2026

Accepted: 17/08/2026

Published: 30/09/2026

DOI: <https://doi.org/10.35517/AAUP-2026.V12.3.3>

Abstract

This study is a descriptive and analytical investigation of the syntactic structures of the nominal sentences in Surat An-Nur. The researchers aimed to elucidate the semantic implications of these structures by adopting an inductive-analytical methodology that examined the nominal sentence patterns in the surah, highlighting their distinct linguistic characteristics and the aesthetic value inherent in their construction. The study sought to identify the syntactic patterns employed in Surat An-Nur to analyze the linguistic techniques and phenomena, contemplate their semantic significance, and reveal the interpretive meanings. This research focused on tracing the semantic functions of the nominal sentences in Surat An-Nur and their role in expressing, elucidating the interrelations among words, phrases, and their immediate contexts. It further observed the layers of meaning and aesthetic aspects embodied in the verses' structures. The analysis of the nominal sentence constructions in Surat An-Nur ultimately unveiled the intrinsic relationship between syntax and semantics and demonstrated their profound impact on understanding Qur'anic discourse beyond the boundaries of the isolated sentence, placing each structure within its broader Qur'anic context.

Keywords: syntactic structures, Surat An-Nur, nominal sentence, context, semantics.

* Corresponding Author